

فلا يمتنع عقلا أن تقع المعجزة . وإنما الذى يمتنع عقلا أن تقع عبثا لغير ضرورة مع إمكان الاستغناء عنها ، إذا تبين أن إقناع المكابرين كان ممكنا بغيرها .

هل يمكن أن تتغير نواميس الكون ، وقوانين الطبيعة كلها دفعة واحدة ؟
نعم يمكن .

ولا فرق في ذلك بين تغييرها في فترة ما . وتغييرها في جميع الآفاق والأكوان .

ولكن الذى لا يمكن هو وقوع التغيير عبثا ، مع إمكان اجتنابه والاستغناء عنه ... وهكذا ينبغى أن يكون البحث في حقائق المعجزات .

لأن تغيير الحوادث كلها في قدرة العقل المطلق أهون من تغيير الفرض في عقل الرياضى وهو مغمض العينين . هذ قضية عقلية مجردة يستوى فيها حساب الكثير ، وحساب القليل . ولكن الشيء الذى لا يقع في العقل المطلق هو العبث الذى لا يساغ في العقل المطلق ، ولا في سائر العقول .

وقد أشار القرآن الكريم إلى الخوارق من باب الاعجاز ، أو من باب السحر . فردها كلها إلى السبب الأخير ، الذى ترد إليه جميع الأسباب ، وهو إرادة الخالق أو إذن الله .

« أتى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا باذن الله » .

« ... وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولوا إنما نحن فتننة فلا تكفر . فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحد إلا باذن الله » .

فكان هاروت وماروت يفعلان ما يفعله أصحاب الحيل العجيبة وهم يقولون قبل ذلك إنها من خفة اليد ، أو استهواء الأبصار ، وفتنة العقول .

وأيا كان ما فعلاه فالحكم فيه وفي جميع الخوارق أن العقل لا يمنع وقوعه منعه للمستحيل . وأن المرجع فيه إلى مطابقتة للحكمة الإلهية ، وضرورة التوسل به أو إمكان التوسل بغيره في مقام الإقناع .